

سياسة المدرسة المسوقة تجاه سلاطين

(إموشاغ)

عرفت المدرسة الدينية المسوقة بسياسة الاحتفاظ على المسلم وعدم الانجرار في النزاعات القبلية وإثارة النعرات والتحالفات التي لم تبن على أسس شرعية وكذلك عدم المشاركة في الاحترابات الداخلية التي قلما تهدأ نائرتها بين القبائل الطارقية، قبل الاستعمار الفرنسي [١] وساهمت هذه السياسة التي تنتهجها المدرسة المسوقة في صحراء أزواد، في توسيع دائرة نفوذ رجال العلم والمدين فيها بين هذه القبائل نظراً لمكانة أهل الدين بينهم إضافة إلى عدم وجود ثارات وعداوات سابقة بين المسوقيين وبين من حولهم من القبائل.

وكانت محافظتهم على المسلم كما لا يخفى ذابعة عن التزامهم بتعاليم دينهم واستشعارهم للمسؤولية الملقاة على عواتقهم من قبل المجتمع الذي ينظر لهم على أنهم الممثل العلني التي تمثل المقدمة للجميع وكانوا قد وجدوا أنفسهم أمام منطقة تموح في كثير من الأحيان بالفتن والغارات، فأثاروا القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاضطلاع بدور المصلح الحامل لنبراس المهدية في ذلك الموضع من أرض الإسلام.

ولنا ننسى أن مما [٢] ساعدتهم على الاحتفاظ بهذه السياسة ما يقوم به [٣] سلاطين (إموشاغ) الذين يتولون زمام الأمور في صحراء أزواد، من توفير المحمية لجميع من ينضوي تحت سلطتهم ولما سما المسوقيون الذين يمثلون السلطات الدينية، فهم المدافعون المحامون عنهم في وجه الأخطار الداهمة، نظراً لمكانة العلماء والمقدامة عندهم. [٤] وقد أفادتنا بعض المصادر التاريخية في المنطقة بأن ذلك التقسيم للأدوار كان نتيجة لاتفاق تاريخي أبرم بين سلاطين (إموشاغ) وعلماء المسوقيين.

[٥] وبعد ما بدأ (إموشاغ) يفقدون السيطرة على الأمور نتيجة للاستعمار الفرنسي الذي سجل أبناء قبائل الصحراء المأزوادية في مقاومته أرقى أنواع البطولات وحطموا فيه المرقم القياسي في معانى الشجاعة والمصمود ورغم كل ذلك لم يسمح عدم تكافئ المقوى لهم بالاستمرار [٦] أكثر من ثلاثة عقود حافظ المسوقيون على نفس [٧] النهج [٨] إلا أن وضعهم الأمني لم يزال في صحة واعتلال شأنهم في ذلك شأن غيرهم من القبائل في الصحراء المأزوادية.

مما سبق يتبيّن لنا أنه لم تكن السياسة خاتمة في اهتمامات القادة الدينيين المسوقيين، فلم يغيبوا يوماً من الأيام عما يجري بين المراعي والمرعية بل حرصوا على إبداء موقفهم الديني البحث أمام زعماء الطوارق غير هبابين ولاوجلين، ولم يدروا ظهورهم لما يطرأ على المنطقة من أحداث، بل يكاد المنصف يجزم أن غالب ما وقع في تلك المحقق التاريخية، من اتفاقات ومعاهدات ومراسلات بين السلاطين وشته محابر وأنقام المسوقيين وهذا ما جعل المقدامة من المسوقيين هم الأداة المعبّرة عن سياسات الدولة الأمازيغية في الصحراء الطاريقية

والجدير بالذكر أن المعطيات التاريخية والوثائق التي بأيدينا سجلت اهتمام علماء المسوقيين بمصير وطنهم قبل الاستعمار إلى وصول المزحف الفرنسي.

وكان بعض النخب العلمية المسوقة مواقفهم الإصلاحية المشهودة المشهورة في كثير من الأزمات التي عصفت بالمنطقة، واحتفظت ذاكرة تاريخ الصحراء المأزوادية بممارسة هؤلاء العلماء دورهم الديني في الحفاظ على الروابط المودية وإن اقتضى الأمر أحياناً [٩] عزل بعض السلاطين الذين لا يتمتعون بالأهلية المطلوبة في إدارة شؤون البلاد والعباد.

وأطلق علماء المسوقيين مبادرات سياسية واجتماعية في هذا الماتجاه وأقنعوا زعماء (إيم وشاغ) [١٠] لقبول هذه المبادرات ومن ذلك رسالـة الشـيخ هـارـون بن مـحمد الإـدرـيـسي المـسوـقـي إلى الإمام محمد بـلوـبـن عـثمانـ فـودـي يـخـطـبـ فـيهـ وـهـ وـيرـسـلـ إـلـيـهـ بـبيـعـةـ علمـاءـ المـسوـقـيـينـ لهـ وـكـلـ هـذـاـ مـنـ أـجـلـ أـنـ يـكـفـ عـنـ غـزـوـ الـبـلـادـ إـلـيـكـ أـبـيـاتـ مـنـ قـصـيـدـتـهـ وـهـيـ

إـلـىـ سـيـدـ سـادـتـ جـدـوـدـتـهـ قـبـلـ [١١] كـذـاكـ يـسـوـدـ بـالـجـدـوـدـ لـهـ النـسـلـ

إـلـىـ الشـيـخـ نـجـلـ الشـيـخـ وـالـعـلـمـ الـذـيـ [١٢] لـهـ اـخـضـوـضـعـتـ فـيـ عـزـزـهاـ الـبـيـضـ [١٣] وـالـكـحـلـ

حـمـدـنـاـ إـلـيـكـ اللـهـ جـلـ جـالـلـهـ [١٤] بـمـاـ اـتـضـحـتـ مـنـ ذـورـ مـصـبـاحـكـ السـبـلـ

بعـثـتـ بـهـذـيـ بـيـعـةـ مـسـتـمـرـةـ [١٥] تـقـومـ بـمـاـ قـامـتـ بـهـ الـمـيـدـ وـالـرـجـلـ

وـلـاـ يـغـيـبـ عـنـ الـأـذـهـانـ أـنـ عـالـمـاـ مـنـ عـلـمـاءـ الـمـسـوـقـيـينـ الـمـشـهـورـينـ هـوـ الـذـيـ وـفـدـ عـلـىـ وـالـيـ (إـكـدرـ) [١٦] الـمـنـصـبـ مـنـ قـبـلـ الـخـلـافـةـ الـعـثـمـانـيـةـ لـأـخـذـ موـافـقـتـهـ عـلـىـ تـنـصـيـبـ الـسـلـطـانـ الـأـوـلـ لـسـلاـطـينـ [١٧] (إـموـشـاغـ) كـارـدـنـاـ بـنـ أـشـوـدـ

وـظـلـ رـجـالـ الـعـلـمـ الـمـسـوـقـيـونـ عـلـىـ صـلـةـ بـسـلاـطـينـ (إـموـشـاغـ) بـلـ هـمـ هـمـزـةـ وـصـلـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـ الـعـادـةـ فـيـ الـبـلـدـ، وـلـهـمـ مـوـاقـفـ مـعـ الـظـلـمـةـ مـنـهـمـ مـشـهـورـةـ، لـسـنـاـ بـصـدـدـ ذـكـرـهـاـ الـآنـ وـيـنـبـغـيـ التـنـبـيـهـ إـلـىـ أـنـ شـكـلـ الـسـلـطـةـ فـيـ الـمـجـتمـعـ الـطـارـقـيـ يـنـطـلـقـ فـيـ الـغـالـبـ مـنـ وـاقـعـ الـغـلـبةـ

والمقوية فلم يكن هناك دستور موضوع ولا مجلس ثابتة، إلا أن زعماء الطوارق في بدالية الأمر يتمتعون بوازع ديني قوي مماسهل أمام قضاء السوقيين وعلمائهم أن يوزعوا السلطة إلى شقين اثنين سلطة تنفيذية للدفاع عن البلد أمام الأخطار وأخرى قضائية تتمتع بجميع الصلاحيات القضائية.

و بهذه المعطيات تعطي دلالة على ما سبق من اهتمام علماء السوقيين بقضايا وطنهم ودفاعهم عنه.